كُنّاشة: (١٧)

تعريف بمخطوط:

"هداية القاري في كلام الباري"

إبراهيم عليّ السّفسيف

في بحث سابق حول مصنّفات علوم القرآن عند علماء المدرسة العلميّة البحرانيّة، استوقفني نسبة كتاب (هداية القاري في كلام الباري) لمؤلّفين مختلفين، هما: الشّيخ محمّد بن محسن بن صديف آل عصفور(ت:١١٥٥هـ)، والسّيّد هاشم الصّيّاح السّتريّ(ت: أواخر القرن ١٢هـ)، مع فارق بسيط بين المؤرّخين في حرفي (في-إلى).

حيث قال الشّيخ عليّ البلاديّ(ت:١٣٤٠هـ): "سمعتُ من شيخنا الثّقة العلّامة المرحوم الشّيخ الصّالح الشّيخ أحمد ابن المقدّس الشّيخ صالح(قدّس سرّه) أنّ له -الشّيخ الصّيّاح- كتابًا في القراءة سمّاه (هداية القاري إلى كلام الباري)"[١].

وقال الشّيخ آغا بزرك الطّهرانيّ: "(هداية الباري في كلام الباري) رأيتُ منه نسخة بخطّ الشّيخ عليّ صاحب (أنوار البدرين) عند ولده حسين القديحيّ، ونسخة ناقصة الآخر في مكتبة (الطهرانيّ بسامراء) تاريخ بعض أجزائها ١١٩٣هـ"[٢].

---

[١] أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين: ٢٣٢-٢٣٣.

[٢] الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة: ١٨٧/٢٥.

أمّا المرحوم الدكتور سالم النويدريّ فنقل عن صاحب (الذّخائر في جغرافيا البنادر والجزائر) -الشّيخ محمّد عليّ بن الشّيخ محمّد تقيّ آل عصفور البحرانيّ(ت:١٣٦٢هـ)- قوله: "له -الشّيخ محمّد بن محسن بن صديف آل عصفور- تأليفات عديدة وتصنيفات جديدة، منها: كتاب (هداية القاري في كلام الباري)"[١].

وقبل أيام، وُفّقتُ في الحصول على نسخة مصوّرة من إحدى مخطوطات الكتاب عبر المراسلة مع قسم الذخائر للمخطوطات في مؤسّسة كاشف الغطاء العامّة -الّذين لهم جزيل الشّكر والامتنان على سرعة تجاوبهم- حيثُ رصدوها في دليل المخطوطات[٢] لديهم.

ما برز في ذهني -على الفور- حين اطّلعتُ على المخطوط، هو العمل على تحقيقه؛ لما فيه من الفائدة على المستوى العلميّ العامّ في علم القراءة، والتاريخيّ الخاصّ بالمدرسة العلميّة البحرانيّة.

غير أنّ العمل على تحقيقه دونه عقبات، كما ذكر الأخ العزيز الدكتور حسين أحمد سلمان أنّ بعض الأفاضل يعملون على تحقيقه[٣]، فارتأيتُ، تماشيًا مع القاعدة الفقهيّة: (لايترك الميسور بالمعسور)، أنْ أعرّف به. وذلك على النحو الآتي:

١. العنوان:

هداية القاري في كلام الباري.

---

[١] أعلام الثّقافة الإسلاميّة في البحرين خلال ١٤ قرنًا: ٢/٢٧٩.

[٢] دليل مخطوطات مؤسّسة كاشف الغطاء: ١/٦٠٩.

[٣] قم جدّد الحزن: رائيّة السّيّد هاشم الصّيّاح البحرانيّ.. دراسة أدبيّة لغويّة تطبيقيّة: ٧٤.

٢. المؤلّف:

لم يُذكر اسم المؤلّف في المخطوط.

وقد توّقف الدكتور حسين أحمد سلمان في صحّة نسبة الكتاب إلى السّيّد الصّيّاح؛ فنصّ قائلًا: "استعصى عليّ البرهان، والوصول إلى دليل حسيّ ملموس مقنع، يدفعني بالجزم بصحّة النّسبة إليه، بل النّسبة ظنّيّة وليست يقينيّة، وفيها من اللّبس والغموض الكثير، وما ظهر لي هو الميل بعض الشّيء إلى عدم إثباته". وأعقب قوله هذا بسرد ستّة أدلّة تُؤيّد ما ذهب إليه[١].

الذي يبدو لي أنّ النّسبة إليه أقرب، فالسّيّد الصّيّاح -وإنْ لم يُذكر اسمه في المخطوط- معروف عند المؤرخين باهتمامه بعلوم القرآن، بل وله مؤلّف آخر في هذه العلوم بعنوان: (رسالة في عدد سور القرآن)[٢]. وإنْ ذُكر عن الشيخ محمّد ال عصفور اهتماماته التأليفيّة المتنوّعة[٣].

لكنْ، يبقى احتمال أنّهما ألّفا كتابين مختلفين بعنوان واحد، واردًا جدًّا.

٣. النّسخة:

تتألّف النّسخة المصوّرة من (٣٠) صفحة مكتوبة بخطّ نسخيّ جميل، الـ(٢٥) منها كتاب (هداية الباري في كلام الباري)، في كلّ صفحة بين ١٨-١٩ سطرًا. والـ(٥) الباقية عبارة عن مجموعة متنوّعة من المنقولات الرّوائيّة والنّحويّة والصّرفيّة.

---

[١] انظر: السّابق: ٧١-٧٧.

[٢] الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة: ١٥/٢٣٢.

[٣] انظر عناوين مؤلّفاته المنقولة عن كتاب (الذّخائر) في: أعلام الثّقافة الإسلاميّة: ٢/٢٧٩.

٤. النّاسخ:

محمّد بن حبيل بن ناصر المهزّيّ السّتراويّ البحرانيّ(ت:١٣٠٩هـ). ولم يؤرّخ النّاسخ تاريخ ابتدائه فيها أو انتهائه منها.

٥. الموضوع:

موضوع الكتاب في علوم قراءة القرآن الكريم، وتحديدًا علم التّجويد وعلم الوقف والابتداء.

٦. المحتوى:

يتألّف الكتاب من مقدّمة، و(١٢) بابًا، وخاتمة. هذا موجزها:

- مقدّمة: قصيرة ذكر فيها عنوان الكتاب، بعد البسملة والتّحميد والصّلاة على النّبيّ وآله والغرض منه.

- الباب الأوّل: في أحكام التّنوين والنّون الساكنة، وهي على ستّة أحكام: الإدغام المحض-بغير غنّة-، والإدغام بغنّة، والإدغام المرخّص فيه الغنّة وعدمها، والإظهار المحض، والقلب، والإخفاء بغنّة.

- الباب الثّاني: في المدّ والقصر، وفيه حكمان: المدّ وهو إمّا متّصل أو منفصل والقصر.

- الباب الثّالث: في ترقيق الرّاءات وتفخيمها، وفيه حكمان: التّرقيق والتّفخيم.

- الباب الرّابع: في ترقيق لام الجلالة وسائر اللّامات وتفخيمها.

- الباب الخامس: في الإدغام الكبير(إدغام المتماثلين)، وفيه ثلاثة أحكام: الإدغام والإظهار والتّخيير بينهما.

- الباب السّادس: في إدغام الحرفين المتقاربين، وفيه ثلاثة أحكام: والإدغام وجوبًا، والإظهار وجوبًا، والتخيير بينهما.

- الباب السّابع: في حروف متفرّقة، فيما وجب وجاز إظهاره من الحروف وإدغامه وتفخيمه.

- الباب الثّامن: في لام هَلْ وبَلْ وقُلْ، ولهما حكمان: الإدغام والإظهار.

- الباب التّاسع: في ميم الجمع وقْفًا ووصْلًا.

- الباب العاشر: في هاء الكناية عن الواحد المذكّر.

- الباب الحادي عشر: في الوقف على أواخر الكلمة.

- الباب الثّاني عشر: في معرفة مخارج الحروف.

- خاتمة: في الاستعاذة والبسملة، وفيها حكمان: حكم الاستعاذة وحكم البسملة.

٧. منهج التأليف:

سار المؤلّف في تأليفه للكتاب وفق منهجيّة ثابتة في غالب الأحيان، وهي على النحو الآتي:

- تحديد رقم الباب، وثبْت عنوانه.
- إجمال ما في الباب من أحكام في أغلب الأحيان.
- تفصيل أحكام الباب، مع التمثيل بالشّواهد القرآنيّة.

- إيراد الأبيات الدّالّة على أحكام الباب في (منظومة الشّاطبيّة) المعروفة باسم (حرز الأماني ووجه التّهاني)[1]، وبيان بعض ألفاظها إنْ لزم.

وهذا نموذج لمتن المخطوط وفق هذه المنهجيّة:

"الباب الثّامن: في لام هَلْ وبَلْ وقُلْ، ولهما حكمان: الإدغام والإظهار.

- الحكم الأوّل: الإدغام

أجمع القرّاء على وجوب إدغام هَلْ وبَلْ وقُلْ في حرفين: اللّام والرّاء. أمّا إدغامهما عند اللّام؛ فللمثليّة والسكون. وأمّا عند الرّاء؛ فإنّها من مخرجها، وهو طرف اللّسان. نحو قوله تعالى:

﴿هَل لَّكَ﴾(النازعات:١٨)، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ﴾(النساء:١٥٨)، ﴿بَلْ ّرَانَ﴾(المطفّفين:١٤)، ﴿قُل رَّبِّ﴾(الإسراء:٨٠).

قال الشّاطبيّ في هذا الحكم وحكم تاء التأنيث:

وَقَامَتْ تُرِيْهِ دُمْيَةٌ طِيْبَ وَصْفِهَا ... وَقُلْ بَلْ وَهَلْ رَاهَا لَبِيْبٌ وَيَعْقِلَا[2].

يعني أنّ تاء التأنيث تُدغم في الأحرف الثلاثة التي هي المذكورة بعدها، وهي: التّاء والدّال والطّاء، وأنّ لام قُلْ وهَلْ وبَلْ تُدغم في الحرفين المذكورين بعدها، وهي: اللّام والرّاء. وقد مثّلنا ذلك كلّه.

---

[1] اشتُهرت بالشّاطبيّة نسبة لناظمها أبي محمّد القاسم بن فيرّه الشّاطبيّ الأندلسيّ(ت:٥٩٠هـ). بلغ عدد أبياتها (١١٧٣) بيتًا، نظم فيها القراءات السّبع المشهورة.

[2] متن الشّاطبيّة، حرز الأماني ووجه التّهاني: ٢٣. وفي المخطوط: فَيَعْقِلَا.

- **الحكم الثّاني: الإظهار**

أجمع القرّاء على إظهار لام هَلْ وبَلْ وقُلْ عند الجيم، نحو: ﴿بَلْ جِئْنَاكَ﴾(الحِجر:٦٣).

وكذلك عند باقي الحروف الإثمانيّة أحرف، وهي: التّاء والثّاء، والظّاء والضّاد المعجمتان، والطّاء المهملة، والزّاي، والسّين المهملة، والنّون. فعند هذه الثّمانية يجوز الإظهار والإدغام، نحو:

﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾(مريم:٦٥)، **﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾**(الأنبياء:٤٠)، **﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾**(المطفّفين:٣٦)، **﴿بَلْ ظَنَنتُمْ﴾**(الفتح:١٢)، **﴿بَلْ زُيِّنَ﴾**(الرعد:٣٣)، **﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾**(يوسف:٨٣)، **﴿بَلْ نَحْنُ﴾**(القلم:٢٧)، **﴿بَلْ طَبَعَ﴾**(النساء:١٥٥)، **﴿بَلْ ضَلُّوا﴾**(الأحقاف:٢٨)"[١].

الأربعاء: ١٧ ربيع الأوّل ١٤٤٧هـ/ ١٠ سبتمبر ٢٠٢٥م.

قال أحد الشعراء فأجاد:

لاْ لاْ تقلْ بلغَ العُلا بكمـالِهِ بلْ لاْ تقلْ كشفَ الدُّجى بجمالِهِ

إنَّ العُلا بلغَ الكمالَ بأحمدٍ بلْ ذا الوجودُ بدا بنـــورِ جمالِهِ

[١] هداية القاري في كلام الباري: اللّوحة ٨-٩.